

## حماية سمعة الإسلام ودعوته في القرآن والسنة وأبعاده التربوية

أ.م.د. عبد السلام درداح فالح العودات

كلية العلوم والآداب - طبرجل/ جامعة الجوف/ المملكة العربية السعودية

d.drdah@yahoo.com

adodat@ju.edu.sa

### Protection of Islam's Reputation and its Mission in the Qur'ān and Sunnah and its Educational Dimensions

Ass. Prof. Dr. Abdul Salam Dardah Faleh Al Oudat

Faculty of Science and Arts – Tabarjal\ Jouf University\ Saudi Arabia

#### Abstract

This study aims to demonstrate an educational missionary objective in the Qur'ān and Sunnah. Such an objective lies in Islam's keenness on correcting its history and refining its image in front of all people. This will reflect the educational dimension of this objective in order to protect it from distortion and safeguard the Islamic mission and its origins against confusion. Such an Islamic mission is filled with mercy and guidance and packed by the values of justice and virtue.

This objective reveals the practical picture of Islam and its call, and clarifies the truth of the Islamic call, and constitutes the firm foundations established to maintain the spread of Islam and its call. This is because caring for this objective is as important as caring for the Islamic call itself. Harming the image of Islam and its call heralds evil and running away from it.

**Keywords:** Protecting Islam from distortion, maintaining the reputation of Islamic call, forming media propaganda about Islam.

#### المخلص

هدفت الدراسة إلى بيان مقصد دعوي تربوي في القرآن والسنة، يتمثل في حرص الإسلام على صفاء سيرته، ونقاء صورته أمام الناس كافة، وتجلية الأبعاد التربوية لهذا المقصد حماية له من التشويه، وحفاظاً على الدعوة الإسلامية ومنطلقاتها من التشويش، هذه الدعوة المفعمة بالرحمة والهداية، والمحاطة بقيم العدل والفضيلة.

وهذا المقصد يكشف الصورة العملية عن الإسلام ودعوته، ويوضح حقيقة الدعوة الإسلامية، ويشكل الأسس الراسخة الثابتة للحفاظ على انتشار الإسلام وامتداد دعوته؛ لأن الحرص على هذا المقصد مهم كالحرص على الدعوة نفسها، والمساس بصورة الإسلام ودعوته مؤذن بالشر والنفور منه.

**الكلمات المفتاحية:** حماية الإسلام من التشويه، الحفاظ على سمعة الدعوة، تشكيل الدعاية الإعلامية عن الإسلام.

#### المقدمة

الحمد لله حمداً يليق بجلاله وجماله وكماله، أحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأصلي وأسلم على سيد الخلق وحبيب الحق، صلاة وسلاماً ما تعاقب الليل والنهار، وعدد حبات الامطار، لاثم السلام على آله وأصحابه أعلام الورى ومصاييح الدجى، رضوان الله عليهم جميعاً.

أما بعد:

فالإسلام دعوة ربانية، غايتها هداية البشرية، وإنقاذهم من براثن الكفر والوثنية، وإخراجهم من ظلمات الجهل والجاهلية، وتحبيي قلوبهم بنور القرآن وإشراقات السنة النبوية، وتتفد إلى قلوبهم وعقولهم بأسلم الطرق وأنفعها لخلصهم من أدران الشرك ومفاسده الدنيوية وعاقبتهم الأخروية.

واتخذ الإسلام لتحقيق هذه الرسالة السامية أساليب متنوعة تجمعها مقاصد عدة تهدف إلى سهولة الانقياد لرب العباد، والدخول في سبل الهداية والرشاد، بعيداً عن الجحود والعناد، وإزالة الشبهات من طريقهم وتحتيتهم عن مسالك الفساد، وصيانة الدعوة الإسلامية عن المعوقات والتضاد.

وقد أعلن القرآن والسنة عن طبيعة الدعوة منذ اللحظات الأولى، إعلاننا استقر في القلوب والعقول، بأنه دعوة هداية ورحمة، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ظلم الأديان وجورها إلى عدل الإسلام، (ابن كثير ١٩٨٨، ج ٦/٦٢٢).

وَحَرَصَ رسول الله ﷺ، منذ انطلاقة دعوته على مراعاة هذا المقصد، والناظر في سيرة رسول الله ﷺ، يلحظ أنه منذ بدء الدعوة نبه وحذر من خطورة تشويه صورة الإسلام، فحرص ﷺ على تكوين رأي عام عن الدعوة الجديدة، وتشكيل اطار فكري وعملي عن سمعة الإسلام ودعوته تبلغ ابعاد مدى تصله، من أجل خلق رأي عام عالمي ينسجم مع عالمية الدعوة والرسالة؛ حتى تجد لها مكاناً في العقول والقلوب.

#### أهداف الدراسة:

١- الاستدلال من القرآن والسنة على حماية سمعة الإسلام ودعوته. بيان طبيعة الإسلام ودعوته المفعملة بالرحمة والهداية.  
٢- الكشف عن مقصد دعوي تربوي في القرآن والسنة، يتمثل في حرص الإسلام على صفاء سيرته، ونقاء صورته أمام الناس كافة، لضمان سهولة انتشار الإسلام ودعوته.

٣- تجلية الأبعاد التربوية لهذا المقصد حماية له من التشويه، والتشويش.

٤- تحقيق النمو التربوي السلوكي والمعرفي لدى المسلمين، والتزام السلوكيات الصحيحة التي تكشف عن طبيعة الإسلام ودعوته.

#### ميررات اختيار الدراسة:

- ١- عدم وجود دراسة تتناول الموضوع في إطاره الشرعي وتأصيله وفق هدي القرآن والسنة.
- ٢- حاجة الناس لمعرفة هذا المقصد الدعوي الشرعي الذي يُحقق مقصداً دعوياً هاماً، في خضم الواقع المعيش، لتجلية جوانب مضيئة تُحافظ على سمعة الإسلام ودعوته.
- ٣- كشف الخواارج الجدد وعظم اساءتهم للإسلام وانحرافهم عن منهج القرآن والسنة، الذي جلب الاساءة للإسلام وشوه سمعته بسبب سوء صنيعهم، وأفعالهم المخالفة للقرآن والسنة.
- ٤ - الإسهام في الدفاع عن الإسلام ودعوته، بتجلية هذا المقصد الشرعي الذي يُحدد انطلاق الدعوة الإسلامية ورسالتها الإنسانية، والحرص على الخلق وهدايتهم.

#### مشكلة البحث:

لقد نشطت الدعاية المضادة للإسلام من قبل أعداء الإسلام، للتخويف منه والحيلولة دون انتشاره، وإقامة السدود والعوائق أمام تمدده في مشارق الأرض ومغاربها. واتخذ أعداء الإسلام ذريعة لهذه الدعاية المضادة تصرفات وسلوكات، فئة من المسلمين تمثل فكراً طارئاً على الإسلام ودعوته، ينبذه جمهور علماء الأمة قديماً وحديثاً؛ لكونه لا ينطلق من ثوابت الدين ومبادئه الراسخة ويخالف منهج الصحابة وجمهور علماء الأمة.

وكل فعل يُخالف منهج النبي صلى الله عليه وسلم وجماهير الصحابة وعلماء الأمة، ضرره كبير، وشره مستطير، فبسبب غلو وتطرف فئة تنسب نفسها للإسلام، ظهرت الإساءة للإسلام وشوهة صورته ووقع التشويش عليه.

وهذه الفئة تزعم أنها تدعو للإسلام، فكان ما أفسدت أعظم مما ادعت كسبه للإسلام، لكونها لم تراع منهج النبي ﷺ في الدعوة، المشبعة برحمة الخلق والحرص على هدايتهم، ولم تتحررَ مقاصد الإسلام الدعوية المنطلقة من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة

بالتي هي أحسن، والمحافظة على سمعة الحسنة للإسلام ودعوته، والتحرز من فعل أشياء شأنها الإساءة للإسلام، حتى لا يتخذها المخالفون حجة وذريعة لصد الناس عن الإسلام ودعوته.

إن رسول الله ﷺ، منذ بدء الدعوة نبه وحذر من خطورة الدعاية المضادة التي تشوه صورة الإسلام، وحرّص عليه الصلاة والسلام على تكوين السمعة الحسنة عن الدعوة الجديدة، من أجل خلق رأي عام عالمي ينسجم مع عالمية الدعوة والرسالة؛ حتى تجد لها مكاناً في العقول والقلوب.

نتيجة لما سبق يؤكد الباحث ضرورة العناية بهذا المقصد، ومراعاة أبعاده الدعوية والتربوية، وأثر ذلك على قبول الأفكار والدعوات والرسالات، بل الدور الكبير في تشكيل وجهات النظر عنها، وقبولها أو الإعراض عنها. وعليه فإن مشكلة الدراسة تتمثل بالسؤال الآتي:

### ما الأبعاد التربوية لحماية سمعة الإسلام ودعوته في القرآن والسنة؟ الدراسات السابقة:

فكرة البحث جديدة و موضوعه حديث، ناشئ من الغيرة على الإسلام وسمعته، وفي حدود اطلاع الباحث لم يُفرد الموضوع بدراسة مستقلة من قبل، لكن مفردات الموضوع مبثوثة بين دفتي المصحف، وكتب السنة النبوية. وآيات القرآن والأحاديث النبوية تشكل ركيزة أساسية في موضوع هذا البحث، وإنما ذُكرت كُتب التفسير والسنة متعلقات هذا الموضوع بصورة عامة، ولم تُركز على الجوانب الدعوية والتربوية، التي ستبحثها هذه الدراسة.

#### محددات الدراسة:

اقتصرت هذه الدراسة على الأمور الآتية:

١- استنباط الأدلة من القرآن الكريم والسنة، في موضوع البحث بشكل مباشر.

٢- التركيز على الأبعاد التربوية الدعوية، والبعد عن الخوض في الخلافات الفقهية.

٣- التأصيل (التربوي والدعوي) برؤية شرعية.

**منهج البحث:** اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي، من خلال تناول نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية في هذا الباب، ثم استنباط الأبعاد الدعوية والتربوية منها.

#### المبحث الأول - حماية سمعة الدعوة الإسلامية في القرآن والسنة:

##### المطلب الأول - معناه ومفهومه:

**أولاً:** المعاني اللغوية لمصطلح حماية سمعة الدعوة الإسلامية:

حماية سمعة الدعوة، جملة مركبة من كلمات عدة، ولا بد من معرفة معنى كل مفردة على حده، ثم صياغة تعريف جامع مانع، بحسب ما يؤول إليه اجتهاد الباحث.

فالمعنى اللغوي لكلمة (حماية): المنع والوقاية، (ابن منظور، ١٣٨٨هـ، ج٤/١٩٧).

والمعنى اللغوي لكلمة (سمعة): ما تُكَلَّم به واشتهر وشاع، (ابن منظور، ج٨/١٦٢: ١٣٨٨هـ).

أما معنى (الدعوة) لغةً: الحث على الشيء وقصده، والدعاء إلى الشيء: الحث على قصده، (الراغب المفردات، ص٣١٥:

١٩٩٢م)، والدعوة إلى الله في الاصطلاح، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - هي: الدعوة إلى الإيمان به وما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا. ابن تيمية(مجموع الفتاوى الكبرى، ١٩٨٧، ج١٥٧/١٥٧، وابن عاشور، ٢٠٠٠،

ج١٣/٢٦١).

**ثانياً: المعنى الاصطلاحي لحماية سمعة الإسلام والدعوة الإسلامية:**

بناء على ما سبق من المعاني اللغوية وتصريفاتها يمكن القول أن مصطلح حماية سمعة الإسلام ودعوته يُعرف بأنه: الحفاظ على نقاء صورة الإسلام ودعوته، ووقايته عما يشوهه من التصرفات والسلوكات، وصيانته مما يشوش عليه من الأفعال والأقوال التي تُسبب الإساءة إليه وتُصْرِفُ الناس عنه.

**المطلب الثاني - مشروعية حماية سمعة الدعوة من القرآن والسنة:**

لقد رسخ القرآن والسنة سمعة الدعوة الإسلامية بالإعلان عن طبيعتها منذ اللحظات الأولى، إعلاننا استقر في القلوب والعقول، بأنه دين قيم ومبادئ تقوم على احترام إنسانية الأُنسان، وفتح القلوب والعقول وهدايتها، وتحقيقها لسعادة البشرية، بالحكمة والرحمة والرفق والسماحة.

إن رسول الله ﷺ حرص على سمعة الدعوة، وترسيخ قيم الحق والعدل والتعامل بها مع الصديق والعدو، فَرَسَخَتِ الفكرة عند جميع الخلق عن الرسول الداعية ودعوته ﷺ، وتحليه بصفات وقيم عرفها العدو والصديق، وهي أنه صادق أمين، ورحمة للعالمين. (المباركفوري، ١٤٣٠هـ، ص ٢٢)، وهي كلها صفات وفضائل تدفع اعداء الإسلام على احترام الإسلام ودعوته، ولا تجد مطعنا ولا مأخذاً عليه، وهذا من أعظم النجاحات للدعوة الإسلامية وانتصارها في ميدان القيم والأخلاق، التي ساعدت على نشر الدعوة الإسلامية وقبولها.

وقد دلت الأدلة في الكتاب والسنة على مراعاة هذا المقصد الدعوي الهام؛ لما له من الأثر على الدعوة الإسلامية وانطلاقها ومسيرتها، وصيانتها مما يؤثر على سمعتها وبالتالي قبولها و التأثير بها وانتشاح الصدر والإيمان بها لسموها ورفعة قيمها، ودل القرآن والسنة على مشروعية سمعة الدعوة ومراعاة هذا المقصد على النحو التالي:

**أولاً - من القرآن الكريم:**

١ - قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لئن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون: ٨). وهذه الآية نزلت في عبد الله بن سلول، زعيم المنافقين ورأسهم، ذكر الحافظ ابن كثير في سبب النزول<sup>(١)</sup> "في قصة بني المصطلق: والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. فسمعها زيد ابن أرقم، فذهب بها إلى رسول الله ﷺ وهو غُلِيْمٌ - وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه- فأخبره الخبر، فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله مر عبّاد بن بشر، فليضرب عنقه.

فقال ﷺ: " فكيف إذا تحدث الناس - يا عمر - أن محمداً يقتل أصحابه (ابن كثير، ٢٠٠٠، ج ٤/٤٧٥).

فقرر القرآن الكريم قبول علانية المنافقين، وحذر من قتلهم؛ حتى لا يكون قتلهم سبباً في الدعاية المضادة للإسلام ودعوته؛ وحذر من قتلهم، وقبل علانيتهم، ترجيحاً للمصلحة العائدة على الإسلام ودعوته، ودرأً للمفسدة المترتبة على قتلهم، فأبقى الله تعالى جهاد المنافقين باللسان، وجهادهم أصعب من جهاد الكفار؛ لأنهم كانوا تحت قهر أهل الإسلام، (السحيمي، ١٤٣٠هـ، ص ٤٨) لكن فضحهم بكشف صفاتهم وتلوناتهم، وجاهدتهم بالحجة والعلم، وترك أمر بواطنهم وسرائرهم، وعاملهم في ظاهر أمرهم بأحكام المسلمين، فهم مسلمون في الظاهر كفار البواطن.

فضحهم الله وكشفهم في سورة براءة بذكر صفاتهم وتلوناتهم، فصار يعرف الناس نفاقهم بصفات وصفهم بها الله في كتابه العزيز، وأنزل الله تعالى: (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لَنُعْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقُفُوا أُخِدُوا وَقُتِلُوا نَفْتِيلاً سَنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلاً) (الأحزاب: ٦: ٦٢).

٢ - وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَنُصِيبِكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بَغِيرَ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الفتح: ٢٥)، فقله تعالى: ﴿فَنُصِيبِكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ﴾ المعرة العيب، وهي مفعلة من

(١) وانظر: صحيح مسلم، ١٤١٨، ج ٣١٣/٤، حديث رقم (٦٦٧٥)

العر وهو الجرب، أي يقول المشركون، قد قتلوا أهل دينهم (القرطبي، ٢٠٠٣، ج ١٦/٢٨٥، والشوكاني، ٢٠٠٧، ج ١/٧). ففي هذه الآيات دليل على الحذر من قتل الكفار المحاربين وبين أظهرهم يُقيم فئة مسلمة مؤمنة مخالطة لهم، فيُقتل المسلم مع الكفار دون علم به، مما يوقع المسلمين في الحرج والعيب والاذى (السعدي، ١٩٩٦، ص ٧٣٨)، ويتذرع الكفار بالدعاية المضادة المسيئة للإسلام، كون المسلمين يُقتل بعضهم بعضاً، ولولا ذلك المحذور لكانا سلطناكم على المشركين فقتلتموهم وأبدتم خضراءهم (ابن كثير، ١٩٩٩، ج ٧/٣٤٤).

### ثانياً - من السنة:

١ - قال جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ - فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ يَا لَأَنْصَارٍ وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ يَا لَلْمُهَاجِرِينَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - (مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ. فَقَالَ: دَعْوَاهَا فَإِنَّهَا مُنْتَبَهَةٌ، فَسَمِعَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قَحْلَةَ قَدْ فَعَلُوهَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ. قَالَ عُمَرُ دَعْنِي أُضْرِبُ عُقُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ فَقَالَ: دَعُهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ) (البخاري، ١٩٨٧، ج ٦/١٩١)، وموضع الشاهد من الحديث الشريف قوله ﷺ: (دَعُهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ)، حيث راعى رسول الله ﷺ سمعة الدعوة الإسلامية، وحذر من الدعاية المضادة من اتخاذ ذلك ذريعة للإساءة للإسلام ودعوته.

٢ - وحديث أبي سفيان - رضي الله عنه - مع هرقل يعتبر ركيزة في تجلية ما يمكن أن تحققه السمعة الاسلام ودعوته، من خلال التزام قيم الإسلام وأخلاقه ومبادئه، إذ فيه (قال هرقل: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ يَغْدُرُ قُلْتُ: لَا وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مَدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا قَالَ وَلَمْ تُمَكِّنِي كَلِمَةً أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ) الى قول هرقل: (وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا فَقَدْ أَعْرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكُذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدُرُ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الرَّسُلُ لَا تَغْدُرُ وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيُنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمِي هَاتَيْنِ وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمْتُ أَنِّي أَخْلَصْتُ إِلَيْهِ لَتَجَسَّمْتُ لِقَاءَهُ وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَعَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ) (البخاري، ١٩٨٧، ج ٥/١).

المبحث الثاني - الأبعاد التربوية لحماية سمعة الإسلام ودعوته في القرآن والسنة.

المطلب الأول - البعد التربوي السلوكي.

أولاً - علاقة الدعاية الحسنة بالبعد السلوكي التربوي:

فإذا تقرر حرص القرآن والسنة المحافظة على هذا المقصد، تأكد عند المسلم ضرورة العمل الجاد لترسيخ السمعة الحسنة للدعوة الإسلامية، التي تستقطب الأتباع، وتزيد من المؤيدين، وتفتح القلوب بما تحمله من مبادئ تحقق كرامة الإنسان، وقيم تجذب الفطر النقية والعقول السليمة.

وللدعوة الإسلامية مقصد في صلاح الخلق ورشادهم، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣٣)، فالإسلام دين دعوة، ورسالة هداية للبشرية ورسخ القرآن أساليب تربوية عملية قرآناً يتلى إلى قيام الساعة، يتعلم منها المسلمون ترسيخ الصورة الصادقة عن الإسلام ودعوته، وإمهال الخلق طمعاً، والرفق بهم والتأني معهم طمعاً في هدايتهم، والحرص على هذه التربية العملية في نماذج قرآنية تؤكد طبيعة الإسلام، والإعلان عنها للبقاء على نقاء صورة الإسلام ودعوته.

فعمد القرآن والسنة من أجل ترسيخ الدعاية العامة عن الإسلام ودعوته تطبيقاً عملياً، الزام المسلمين بتطبيق قيم الإسلام منهج حياة لدى المسلمين أنفسهم، وتربيتهم على هذه المفاهيم، وتوظيفها في الحياة، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨)، ففي الآية أمر بالتزام العدل مع الكفار، وهي مثال على تطبيق تعاليم الإسلام وقيمه في التعامل مع الخصوم الكفار، ومراعاة حقوقهم،

والانطلاق منها عند دعوة الآخرين، والحذر من مخالفتها، لخطورتها في تنفير الخلق من الإسلام، ولعظيم أثرها السلبي على تقبل دعوة الإسلام من الآخرين.

لقد سطر المسلمون هذه القيم في حربهم وسلمهم، وترجموا مبادئ الإسلام وتشريعاته وقيمه التي تنطلق من رسالية دعوتهم، والحرص على رحمة الخلق وهداية البشرية، وإنقاذهم من ظلمات الكفر والجهل في الدنيا، وسوء العاقبة في الآخرة وإنقاذهم من النار، لا من أجل مطامع شخصية أو مطامع دنيوية مادية. بل من أجل تحقيق كرامة الإنسان، وتحقيق سعادة البشرية، وأدركت الشعوب التي تعاملت مع المسلمين هذه المعاني واقعاً منظوراً، وممارسات عملية جعلتهم يحترموا الإسلام وأهله، ويقدرتهم، مما جذب كثير من تلك الشعوب للإسلام.

ومن الشواهد على رسالية الدعوة والحرص على هداية الخلق، عفوه ﷺ عن أهل مكة يوم الفتح الأعظم، وأيضاً ما فعله عمر بن عبد العزيز في عزل واليه عن إمرة خراسان "وإنما عزله لأنه كان يأخذ الجزية ممن أسلم من الكفار ويقول: أنتم إنما تسلمون فرارا منها، فامتنعوا من الإسلام وثبتوا على دينهم وأدوا الجزية، فكتب إليه عمر: إن الله إنما بعث محمداً صلى الله عليه وسلم داعياً، ولم يبعثه جابياً (ابن كثير، ١٩٨٨، ج ٩/٢١٣).

ويتأكد لدى المسلمين العناية بمثل هذا المقصد، لكون الإسلام دعوة إلهية، ورسالة هداية للبشرية، فقد رسخ القرآن قواعد السمعة الحسنة، وما تحمله من أبعاد تربوية، وهي آيات تُتلى إلى قيام الساعة، يتعلم منها المسلمون ترسيخ الصورة الصادقة عن الإسلام ودعوته، وإمهال الخلق طمعاً في هدايتهم، والرفق والتأني، والحرص على هذه التربية العملية في نماذج قرآنية تؤكد طبيعة الإسلام، والإعلان عنها للبقاء على نقاء صورة الإسلام ودعوته.

#### ثانياً- التطبيق العملي لحماية سمعة الإسلام ودعوته:

إن صورة الإسلام النقية الصافية ما زالت قائمة في أذهان المسلمين عامتهم وعلمائهم، لم يطرأ عليها انحراف أو تبديل، ولا عبرة بشذوذ فئة مارقة لا تمثل الإسلام، ولا تمثل منهج الإسلام، ولا تمثل تياراً فكرياً غير مقبول عند الغالبية العظمى من المسلمين، بل يرفضها المسلمون جميعاً، وهي نسبة عددية قليلة جداً، ولا تُمثل توجه يُذكر كتيار عريض في واقع المسلمين.

فالمسلمون ينطلقون في رؤيتهم من خصائص الرسالة الإسلامية، بوسطية واعتدال بعيداً عن الغلو أو التقصير، وأهداف الدعوة الإسلامية وضوابطها، التي تُحقق مقصد البعثة المتمثل في هداية الخلق وإنقاذهم من براثن العبودية لغير الله تعالى، ومن أحوال الكفر والخرافة والوثنية، إلى رحابة الإسلام، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وإخراجهم من أحوال الشرك والجهل والظلم، إلى سعة الإسلام وعدله ورحمته.

ويحرص المسلمون شعوباً وحكومات راشدة على ديمومة الفكرة العامة عن الإسلام والمحافظة على تاريخه المُشرف في معاملة الآخر الكافر بقيم جاذبة، وأخلاق عالية تنفذ إلى قلب المخالف وعقله، وتُحافظ على الفكرة الراسخة خلال قرون مضت، عبر تاريخ الدعوة تُمثل الصورة الجلية عن الإسلام ودعوته، والتي شهد بها الأعداء قبل الأصدقاء..

#### أ - ترجمة الدعاية عن الإسلام عملياً من المسلمين عبر التاريخ:

وقد ترجم المسلمون عبر التاريخ هذه المعاني القرآنية وجعلوها واقعاً مَعيشياً، والتاريخ سجل هذه السلوكيات الإيمانية الإنسانية، وكفى بالشاهد التاريخي دليلاً قاطعاً عن طبيعة الدين الإسلامي وأتباعه، الذين انطلقت حياتهم من تعاليم القرآن الكريم وهدية وتوجيهاته بسهولة ويسر.

والشواهد التاريخية كثيرة مستفيضة في هذا الباب، وكلها تشهد على عظمة الإسلام، وروعة تشريعاته وتميزها، وثبتت نقاء صورته، وصفاء منهجه، مع الأعداء والخصوم في السلم وفي الحرب وفي كل حال، وهذه الشواهد التاريخية رَسَخَتْ في نفوس الأعداء قبل الأصدقاء طبيعة الإسلام ودعوته بنقاء، وأعطت الصورة الحقيقية عن الإسلام وصورته، وكرست الدعاية العامة عن هذا الدين.

إن هذه القيم العليا، والمثل الرفيعة، التي سطرها الإسلام في منهجه، والتزمها المسلمون في واقع حياتهم، "كانت منهجاً عاماً التزمه قادة الفتح الإسلامي: لقد جئنا لنخرجكم من جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأصبحت العدالة غاية وأحد الأهداف الكبرى، وتعشقت الشعوب المضطهدة المظلومة عدل الإسلام، فدخلت فيه أفواجا" (الأسمر، ١٩٩٧، ص ١٩٧)، فهذه القيم والفضائل الخلقية التي حث عليها الإسلام وأمر بها المسلمين، كانت سبباً من أسباب انتشار الإسلام.

#### ب - نماذج من تطبيق الدعاية عن الإسلام عملياً من المسلمين عبر التاريخ:

١- عفوه عن أهل مكة يوم الفتح الأعظم، أمر الله تعالى رسوله الكريم ﷺ، في كتابه العزيز بالعفو عن الأتباع وعن الخصوم الأعداء قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩)، فترجم رسول الله ﷺ - هذا الأمر الإلهي واقعاً عملياً وسلوكياً، والنماذج والشواهد على ذلك كثيرة، وأعظمها عفوه عن أهل مكة يوم الفتح الأعظم، إذ هو ﷺ - يترجم طبيعة الدعوة الإسلامية، وحرصها على هداية الخلق لا إبادتهم، فدخل الناس بعدها في دين الله أفواجا.

والعفو من الدعاية يُحقق انتصار الدعوة ويؤلف قلوب الناس ويجمعها على محبة الإسلام والرغبة فيه، ويزيل العداة والفرقة، ويفتح قلوبهم للدعوة ومحبتها، والدخول في الإسلام، بل العفو يُحافظ على سمعة الدعوة الإسلامية، ويقرر في أذهان الناس القاصي منهم والداني سماحة الإسلام، وحرصه على هداية الخلق لا إبادتهم.

٢- ومثال آخر نسوقه لرسوخ الدعاية الحسنة عن الإسلام في نظر العدو قال: " هرقل وهو على إنطاكية لما قدمت منهزمة الروم: ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشرا مثلكم ؟ قالوا: بلى. قال: فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافا في كل موطن.

قال: فما بالكم تنهزمون ؟ فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمنون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم، ويُهزم نحن من أجل أنا نشرب الخمر، ونزني، ونركب الحرام، وننقض العهد، ونغضب ونظلم ونأمر بالسخط وننهى عما يرضي الله ونفسد في الارض، فقال: أنت صدقتني". (ابن كثير، ١٩٨٨، ج١٨/٧ و١٩).

والأمثلة والشواهد كثيرة يطول بها المقام، وليس هذا البحث محل بسطها، لكن أكد المسلمون أن النصر لا يكون ببسط النفوذ على الأرض والسيطرة عليها، بل النصر الأعظم ثمراً، وأدوم أثراً القيام على المبادئ وترجمتها عملياً، كان سبباً في التمكين لهم في الأرض ومنحهم الانطلاق نحو دعوة البشرية كله، والنفوذ إلى القلوب وتحويلها لحب الإسلام وحملته.

#### المطلب الثاني - البعد التربوي الدعوي.

#### أولاً - رعايته كمقصد للدعوة الإسلامية:

إن من مقاصد الدين وكتلياته الخمس حفظ الدين، أي اتخاذ التدابير والإجراءات التي تضمن عدم الإساءة أو التفریط أو التعدي على الدين، سواء ما يتعلق بحفظ الدين على المستوى الفردي الشخصي، أو ما يتعلق بالدين على مستوى جماعة المسلمين ومجتمعهم ودولتهم، أو على الدين بتشويهه من قبل الغالين والمنحرفين.

أما ما يتعلق بالفرد فشرع الإسلام حد الردة حماية للدين من أن يتلاعب به أصحاب الأهواء وضعاف النفوس والمنافقون وأعداء الإسلام، الذين قال قائلهم آمنوا أول النهار واكفروا آخره، لزعزعة إيمان الناس وتشكيكهم بدينهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (آل عمران: ٧٢).

وأما على مستوى جماعة المسلمين ودولتهم، فشرع الجهاد في سبيل الله لحماية الدين وبيضة المسلمين، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونََ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٩٣).

وعلى صعيد حمايته من غلو الغالين وانحراف المنحرفين شرع الإسلام لحماية سمعة الدعوة الإسلامية قتال الخوارج، الذين دلت الأدلة على انحراف فهمهم، وسقم فقههم، وانعدام بصيرتهم وضبابية رؤيتهم، وقلة خبرتهم العلمية، وسطحية تفكيرهم.

الخوارج الذين خرجوا على المسلمين وإمامهم خليفة رسول الله ﷺ؛ بسبب شبهات عقلية ضعيفة وحجج باطلة لا تقوى أمام الحجة القاطعة وقد حاججهم حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما، ورجع معه عدد كبير منهم (السيوطي، ٢٠٠٣، ج ٤/٤١٤). وإذا تأملنا الأدلة الواردة في شانهم، فهي تكشف بوضوح ضحالة معرفتهم الدينية، وقلة فقههم للنصوص (النووي، ١٣٩٢، ج ٤/١٩)، ومن ذلك قوله ﷺ في قصة ذي الخويصرة التميمي، قال أبو سعيد الخدري قَالَ بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْرِصَةِ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اَعْدِلْ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « وَبِئْسَ مَا لَكَ أَنْ تَعْدِلَ قَدْ خَبِرْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ اَعْدِلْ ». فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْتِنِّي لِي فِيهِ أَضْرِبَ عُنُقَهُ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- (دَعُهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُونَ أَحَدَكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ يَقْرَعُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّمُّ مِنَ الرِّمِيَّةِ) (البخاري، ١٩٨٧، ج ٤/١٦٧).

فقتال الخوارج قضية مرتبطة بالفقه المقاصدي للدين وحمانيته، لأنهم أول من تجرأ على دماء المعصومين من المسلمين بسبب فساد رأيهم، وضلالة مذهبهم، وتكفيرهم لعموم الصحابة رضوان الله عليهم، لشبهات عقلية تتناقض مع أدلة القرآن والسنة القاطعة والصريحة التي تُبين علو شأن الصحابة وثناء الله عليهم، ورضوانه عليهم، لقاء صنيعهم من نصر الإسلام بأنفسهم وأموالهم رضي الله تعالى عنهم أجمعين، ورغم ذلك كله كفروا الصحابة وخرجوا على خليفة الإسلام وقتلوه.

**ثانياً - علاقة الدعوة بالدعاية الحسنة عنها: ويتحصل من ذلك أمور منها:**

**١ - أثر الدعاية الحسنة على سير الدعوة وانتشارها:**

إن رسول الله ﷺ، منذ بدء الدعوة نبه وحذر من خطورة الدعاية المضادة التي تشوه صورة الإسلام، وحرص عليه الصلاة والسلام على تكوين رأي عام عن الدعوة الجديدة، وتشكيل دعاية حسنة تبلغ ابعاد مدى تصله، من أجل خلق رأي عام عالمي ينسجم مع عالمية الدعوة والرسالة؛ حتى تجد لها مكاناً في العقول والقلوب. بل حرصه على الخلق ورحمتهم وهدايتهم شكّل سمعة حسنة عن الإسلام، وسمعة الدعوة الإسلامية ملئت أطباق الأرض، ووصلت للقلوب والعقول، قبل وصول الدعاة للناس، فكانت من أهم عوامل انتشار الإسلام وقبوله، ورواج دعوته.

**٢ - الدعاية الحسنة وأثرها على قبول الدعوة:**

مما لا يخفى أن للإعلام والدعاية الصادقة عن الفكرة ومبادئها وطبيعتها، وإبراز صورتها النقية منزهة عن التشويه والتشويش، دور كبير في تشكيل وجهات النظر عنها، ومن ثم الاقتناع بها أو الاعراض عنها ومعاداتها، ورسول الله ﷺ منذ البدء نبه لهذا المقصد الهام، وحذر من التفريط فيه لمآلاته السلبية على الدعوة الإسلامية.

ويؤكد هذا المهني ماجاء في قصة غورث بن الحارث الذي سل السيف على رسول الله ﷺ - (وقال من يمنعك مني يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ :- (الله)، قال: فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم السيف فقال له: (من يمنعك مني؟) قال: كُنْ خيراً مني قال: فخلى سبيله، (وفيه) فجاء إلى أصحابه فقال: جئتم من عند خير الناس) (ابن حجر، ١٤٠٥، ج ٤/١٢١).

**٣ - ايجاد رأي عام عالمي ينسجم مع عالمية الدعوة والرسالة:**

إن رسول الله ﷺ - من بدء انطلاق الدعوة لفت الأنظار وحذر من إهمال هذا المقصد وخطورته ومآلاته المتمثلة بتشويه صورة الإسلام، وحرص رسول الله ﷺ على أهمية تكوين رأي عام عن الدعوة الجديدة، وتشكيل دعاية إعلامية عامة تبلغ مسامع البشرية كلها في المشارق والمغارب، من أجل خلق رأي عام عالمي ينسجم مع عالمية الدعوة والرسالة؛ حتى تجد لها مكاناً في العقول والقلوب.

**٤ - ترسيخ طبيعة الدعوة والإعلان عن ذلك خشية الدعاية المضادة:**

إن مسيرة الدعوة الإسلامية عبر التاريخ تؤكد الأثر الكبير للدعاية وأثرها على نجاح الدعوة وانتشارها وقبولها، لما للإعلام من سلطة توجيهية مؤثرة على توجهات الناس وقبولهم للدعوات أو رفضها، حرى بالمؤسسات الدعوية الرسمية في العالم الإسلامي إيلاء الحفاظ على السمعة الحسنة للإسلام ودعوته جانباً من لرعاية والاهتمام وتوظيفه ايجابياً لصالح الاسلام والدعوة إليه وعرض الاسلام



وقيمه بصورة نقية، ومن ثم عرض وسطيته واعتداله، بدعاية إعلامية صادقة تُعبر عن الوجه الحقيقي لدين الله بعيداً عن الغلو أو التقصير.

#### ٥ - تأليف القلوب على محبة الإسلام ودعوته:

فقول رسول الله ﷺ - (دَعَا لِيَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ) (البخاري، ١٩٨٧، ج ٦/١٩٣)، فيه دلالة على ترك النبي ﷺ - قتل مَنْ أظهر النفاق تأليفاً للناس (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد/ آل الشيخ، ٤٤٠)، خشية مفسدة أعظم تربوا على مصلحة قتلهم، فيصير الفساد بقتلهم أعظم؛ لأنه يشوش على الدعوة، ويشوه صورتها، فَتَرَكَ النبي ﷺ - قتلهم - مع أنهم يستحقونه -، لمصلحة أعظم وهي تأليف الناس خشية نفورهم من الدين، وأيضاً حتى لا يخاف من أراد الدخول في الإسلام من لحاقه بمصير من قُتل من المنافقين، فيتحصل بقتلهم تغيير لأقوام، وصدود للناس عن الإسلام، وهو متعارض مع مقاصد البعثة والدعوة (ابن حجر، ١٣٧٩، ج ٨/٣٣٦).

#### ثالثاً - شخصية الداعية وعلاقته بالدعاية الحسنة:

إن تسويق الأفكار والدعوات لا يكون بالقسر والإجبار، وإنما بترجمة مبادئها وقيمتها واقعاً معيشياً حياً، ينبض بالحياة في كل تصرف وسلوك، يستهوي الناس ويحملهم على احترام الدعوة والداعية، والإعجاب بهما؛ لأن الانتصار في ميدان السلوك والتزام المبادئ والقيم، أعظم من الانتصار في ميدان المعركة، لما له من تداعيات طويلة الأمد في رسوخ الدعاية الإعلامية العامة عن الدين وحقيقته الصادقة.

فالداعية الصادق مرآة للدعوة، يجليها بأبهى حلة، وأجمل صورة؛ من خلال سلوكه وتصرفاته، والقوة في ذلك رسول الله ﷺ - الذي جسد المثال الراسخ على حقيقة القيم والمبادئ الاخلاقية في التعامل مع الخصوم في السلم والحرب، مما حَمَلَ الخصوم على احترامه والإعجاب به، وبين القرآن الكريم نظرتهم للرسول الداعية ومكانته في نفوسهم، لقوله تعالى: (قَدْ نَعَلُمْ إِنَّهُ لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) (الأنعام: ٣٣) قال البغوي: "إنهم لا يكذبونك في السر لأنهم عرفوا صدقك فيما مضى، وإنما يكذبون وحيي ويجحدون آياتي" (البغوي، ١٩٩٧، ج ٣/١٤٠).

لقد انتصر الإسلام بترسيخ قيمه وترجمتها واقعاً عملياً، قال الله تعالى لنبيه: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (الاعراف/ ١٩٩) وصية من الله لنبيه الكريم ﷺ - بجعل العفو مسلماً عاماً في مسيرته الدعوية ومعنى الآية: أي عامل به واجعله وصفاً ولا تتلبس بصدده (ابن عاشور، التحرير والتنوير)، لما يُحققه العفو عن الخصوم والاعداء من تأليف القلوب، واستمالتها للدعوة، ومحبة الداعي ولا أدل على ذلك من عفو صلى الله عليه وسلم عن أهل مكة يوم الفتح الأكبر.

والعفو الذي يُحقق آثاره وثماره ما كان عن قدرة وقوة وتمكن، لقد دخل رسول الله ﷺ - مكة فاتحاً، وطلبوا منه العفو، فقال اذهبوا فأنتم الطلقاء، دخلها متواضعاً رحيماً لم تغره نشوة النصر، ولم تبطره زهوة لظفر.

فعفوه ﷺ - عن أهل مكة كان بعد سنوات مضت من المعاناة والعناد والتكذيب، تلاها الاضطهاد والتعذيب، ثم قتل بعض أصحابه والخراج من بلد الله الحرام والتشريد، دخلها ظافراً منتصراً قوياً على أعداء الأوس، الذين سبقت منهم كل تلك القبائح، ومع ذلك عفى عنهم بعد التمكن منهم والقدرة عليهم، فحقق بالعفو عنهم ما لم يُحققه السيف، فدخل الناس في دين الله أفواجاً، فانتصرت القيم وانتصرت الدعوة وانتصر الداعي ﷺ -.

إن سلوكيات الرسول وأخلاقه هي ترجمة للقرآن، ذات أثر كبير وهي سبب من أسباب استقطاب المخالفين، ولعل هذا المنحى أكده رسول الله ﷺ - منذ اللحظات الأولى لإعلان الدعوة أمام قريش وعنادها ورفضها للدعوة، لكنه أشار الى حفاظه على الصلة والقرابة التي بينهم ويصلها ويبقيها ندية طرية، ويحافظ عليها من القطيعة، قال رسول الله ﷺ -: (غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَجْماً سَابِلَهَا بِلَالُهَا) (مسلم د.ت، ج ١/١٣٣). فصلة الارحام حتى مع المخالف في العقيدة تُثمر المحبة والصفاء، وفي المقابل القطيعة تورث العداوة والبغضاء (النووي،

١٣٩٢، ج ٣٥٠/١، وابن حجر، ١٣٧٩، ج ٤٣٣/١٠)، وهو مع ذلك يتبرأ من كفرهم وشركهم، لكن هذا لا يمنعه من القيام بأداء الحقوق التي بينهم.

إن التزام الدعاة خاصة والمسلمون عامة بقيم الاسلام ومبادئه سبب رئيسي لانتشاره، وهذا ما يستشعره الأعداء المخالفون، ففي حديث أبي سفيان رضي الله عنه مع هرقل، وفيه (قال هرقل: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما، قال: قلت: لا، قال: فهل يغدر قلت: لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها قال ولم نكفي كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة) الى قول هرقل: (وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت أن لا فقد أعرف أنه لم يكن لينذر الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم فلو أنني أعلم أنني أخلص إليه لتجسمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدمي) (البخاري، ١٤٠٧، ج ٥/١).

فحامل الدعوة والمبادئ صادق لا يكذب ولا يغدر ويدعو الى مكارم الاخلاق والقيم النبيلة، وهذا يكرس الثقة به من الاعداء قبل الأصدقاء بل هو سبب من أسباب النصر في ميدان النفوس والقلوب، قبل النصر في ميدان المعركة، وقد انتصر الاسلام بقيمه الراسخة ومبادئه السامية، فتسلل إلى قلوب الأعداء واستهوى افئدتهم وألزمهم على تقديره وإجلاله، بل أوقفهم من التمادي عليه فضلاً عن اتهامه، كحال أبي سفيان رضي الله عنه وهرقل في الحديث السابق.

إن الإسلام دين هداية لا حرب إبادة، من أسباب نصره القيم التي يدعو إليها في السلم وفي الحرب، فترجم المسلمون هذه القيم سلوكاً عملياً في حركة الفتح الإسلامي الذي امتد في مشارق الأرض ومغاربها، فدخلت بلاد وأمم في الإسلام بحسن صنيع المسلمين، وحسن أخلاقهم وسلوكهم؛ لأنهم كانوا مصحف تدب على الأرض، ففتحو القلوب والأبصار قبل فتح البلدان والأمصار.

### المطلب الثالث - البعد التربوي الإعلامي.

مما لا يخفى أن للإعلام والدعاية الصادقة دور كبير في تشكيل وجهات النظر عن الفكرة ومبادئها وطبيعتها، وإبراز صورتها النقية منزهة عن التشويه والتشويش، وأثر فعال إبراز مبادئها ومعرفتها، ومن ثم الاقتناع بها أو الاعراض عنها ومعاداتها، ورسول الله ﷺ منذ البدء نبه لهذا المقصد الهام، وحذر من التفريط فيه لمآلاته السلبية على الدعوة الإسلامية. فلا يخفى على أحد الأثر الدعوي والتربوي للإعلام عن طبيعة الأفكار والدعوات والرسالات، بل الدور الكبير في تشكيل وجهات النظر عنها، وقبولها أو الإعراض عنها. ودلت السيرة النبوية عبر مراحلها الدعوية الحرص على البعد الإعلامي عن الدعوة، فصح في الحديث من قصة ابن سلول وقوله (ليخرجن الأعز منها الأدل)، قال عمر دغني أضرب عنق هذا المنافق فقال: (دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه) (البخاري، ج ٦/١٩٣، ١٩٨٧).

ويتلخص مما سبق الابعاد التربوية التالية:

#### أولاً - أهمية تكوين رأي عام وسمعة حسنة عن الدعوة:

إن رسول الله ﷺ، منذ بدء انطلاق الدعوة الإسلامية لفت الأنظار وحذر من إهمال هذا المقصد وخطورته على تشويه صورة الإسلام، وحرص رسول الله ﷺ - على سمعة الدعوة الجديدة، وحرص على ترسيخ السمعة الحسنة عنها، بحيث تنتشك دعاية إعلامية عامة تبلغ مسامع البشرية كلها في كل مكان.

#### ثانياً :- ترسيخ السمعة الحسنة يُحقق قبول الدعوة ويحميها من الدعاية المضادة:

لقد سجّل الإسلام سبقاً إعلامياً في مجال الدعاية الإعلامية عن الدعوة، وبيان أهميتها في تسويق الدعوات والأفكار في ميدان الفكر والقلب، والنفاذ الى وجدان القلوب، وخلجات النفس، بتكريس قيم الفضيلة والعدل، والإحسان للآخر المخالف في الدين والعقيدة، شهد الأعداء بتلك المعاملة المثلى قبل الاصدقاء.

فالحرص على ترويج المقاصد الحسنة للدعوة، والإعلان عن ذلك والتركيز عليه، والبعد عما ينفر الناس من قبولها، برواج السمعة السيئة من أنها تقتل المخالفين من أتباعها، لأنه لا يوجد فوارق تميز المؤمن الصادق من المنافق الخائن، ولا يوجد وسيلة تظهر للناس في الأثناء المختلفة، البعيدين عن مركز الدعوة ودولة الإسلام، لتمييز الصادق من الغادر الخائن.

حرص رسول الله ﷺ - على عدم التباس الأمر على الناس، وكان يخشى من تسامع الناس بما يدخل عليهم الظن والريبة من الدعوة الجديد التي تقتل أتباعها، بل قد يتبادر للذهن سوء الظن بين العرب والتخوف من الدعوة الجديدة. حتى لا يكون ذلك مدخلاً للظن والتشويه من الكفار في الاقطار البعيدة حينها، واتخاذ ذلك فرصة سانحة لتشويه الإسلام، والتشويش عليه بأنه محمد يقتل أتباعه، إذ لا وسيلة لإقناع الخلق حينها أن هؤلاء منافقون خونة، ويتخذها كذلك الكفار المجاورين وسيلة للترويج والدعاية المضادة للدعوة الإسلامية.

لأن الكفار كانوا يحرصون على الصد عن الدين الجديد ودعوته، قال تعالى: ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (الأنعام: ٢٦)، فقد كانوا ينجرون الناس وينهونهم ويحذرونهم ويخوفونهم من اتباع الدين الجديد (القرطبي، ٢٠٠٣، ج ٦/٤٠٥)، فسد النبي ﷺ - الطرق المؤدية لاستخدام سلاح التنفير من الدعوة الإسلامية والترويج المضاد لتشويهها.

#### المطلب الرابع - البعد التربوي السياسي.

الدعوة الإسلامية ذات رسالة هادفة، تستهدف القلوب والعقول بالهداية والرشاد، وتنفذ إلى أعماق القلوب والوجدان بقيمها ومبادئها وسموها الأخلاقي، فهي دعوة هداية تحرص على تأليف القلوب لتتقاد إلى نورها طواعية ومحبة، بل تستهوي الأعداء قبل الاصدقاء بما فيها من قيم العدل والفضيلة، وتحرص على كسب الخصوم واستمالتهم، أو على أقل تقدير البعد عن استثارة الأعداء والعمل على تقليل العداوة معهم، ووضع نقاط للتلاقي والتفاهم معهم والبعد عن الصدام والصراع والافتتال قدر الإمكان، لقوله ﷺ - (أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُّوْا لِلَّهِ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيْتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا) (البخاري / ١٤٠٧ هـ / ج ٤ / ٦٢).

ولعل في حديث أبي سفيان - رضي الله عنه - مع هرقل ما يرسخ ويؤكد انتصار الدعوة الإسلامية في ميدان السمعة السياسية الحميدة التي تستهوي الخصوم وتجلب احترامهم للإسلام ودعوته، نعم انتصرت الدعوة الإسلامية في سمعتها السياسية المنبثقة من قيمها الأخلاقية، وبلغت تلك السمعة مبلغاً كبيراً، ونفوداً للدعوة في نقاء صورتها عند خصومها، مما هيا فتح القلوب والأبصار قبل فتح البلدان والأمصار.

وحديث أبي سفيان رضي الله عنه مع هرقل يعتبر أساساً في تجلية البعد التربوي السياسي لسمعة الإسلام ودعوته، إذ فيه (قَالَ هِرَقْلُ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَنْهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا، قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ قُلْتُ: لَا وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مَدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا قَالَ وَلَمْ تُمَكِّنِي كَلِمَةً أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ) الى قول هرقل: (وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَنْهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكُذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الرَّسُلُ لَا تَغْدِرُ وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَأَكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمِي هَاتَيْنِ وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلَصُ إِلَيْهِ لَتَجَسَّمْتُ لِقَاءَهُ وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَعَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ). (البخاري، ١٩٨٧، ج ٥/١).

ومما يستفاد من الحديث السابق في أبعاده التربوية ما يلي:

#### أولاً - أثر الالتزام الأخلاقي على البعد السياسي:

إن تحلي المسلمين عامة والدعاة خاصة بقيم الإسلام الأخلاقية، وفضائله الزكية من أكبر المؤيدات السياسية للترويج الحسن للإسلام ودعوته، وتسويق الدعوة وسهولة انتشارها.

**ثانياً - قيم الإسلام متعددة الجوانب:**

عند النظر في حديث أبي سفيان مع هرقل نلاحظ ادراك الأعداء لجوانب مهمة في شخصية الداعية ومواصفاته، وكونها ذات أثر على تقرير السمعة الحسنة للإسلام ودعوته، كذلك مبادئ الإسلام وعقائده وتشريعاته وقيمه الخلقية، والتزامها وقيام المسلمين عامة على رعايتها ومن الدعاة خاصة، لكونها من أعظم ما يُكرس ويرسخ الدعاية الحسنة عن الإسلام ودعوته.

**ثالثاً - أثر السمعة الحسنة على جذب الخصوم:**

الحرص على ترسيخ السمعة الحسنة للدعوة، وتوخي ما يؤكد الدعاية الجاذبة للخصوم والأعداء؛ لأن تمثل القيم الخلقية مصدر مهم في استقطاب المخالفين، وجذبهم لمحبة الإسلام ودعوته، أو تقليل عداوتهم.

إن الدعوة التي تحمل رسالة الهداية والنور تحرص على تقليل الخصوم بسمعتها الحسنة، مما يُقلل أعدائها ويقلل جبهات العداء، ومن ثم انشغالها بمعارك وجبهات عديدة تستنفد جهدها الدعوي والتربوي، وتستهلك وتهلك أبنائها في الحروب الطاحنة، ويفقدوا القدرة على التواصل والدعوة؛ لذلك نرى أن الإسلام كان انتشاره وانتصاره في ميدان القيم والأخلاق أكثر وأكبر من انتصاره في ميدان المعركة، وشهد بذلك الأعداء قبل الأصدقاء (أبا الخيل، ٢٠٠٦، ص ٤٠١)، بل دخل الإسلام كثيراً من البلدان بسبب قيم الإسلام وأخلاقه، التي التزامها المسلمون ممارسة عملية في سلوكهم وتصرفاتهم.

فصورة الإسلام الراسخة المنطلقة من القيم والفضائل المُسددة بنور الوحي والرسالة، واضحة في قلوب وعقول الخلق كافة؛ بأنه دين رحمة وهداية للعالمين، وهذه السمعة الحسنة كانت سبباً لانتصاره، وإنصافه من قبل الخصوم، والفضل ما شهدت به الأعداء.

**رابعاً - قوة الإسلام السياسية والسيادية نابعة من قيم الحق والعدل التي ينطلق منها:**

حديث أبي سفيان مع هرقل يؤكد بُعداً سياسي في أحقية الدول والدعوات بالملك والنفوذ على أساس قيمي يحترم الإنسان وحقوقه، فالدول التي تنطلق من قيم العدل والفضيلة، جديرة أن تملك مشارق الأرض ومغاريها، وكان ذلك يوماً ما للإسلام ودولته، وتَحَقَّق للإسلام سيادة وحضور سياسي عالمي أبان دولة الإسلام وخلافته؛ لأن الإسلام انتصر على حظ النفس، وكرس منهجية الحكم العادل الرشيد، محكوماً بالقيم والفضائل، ففتح الإسلام بذلك آذاناً صُمّاً، وعيوناً عُميّاً، وقلوباً عُفُلاً.

**خامساً - الإسلام دين دعوة وهداية لا حرب إبادة:**

الدول والدعوات الدنيوية تُحصر في سلمها وحررها على تحصيل مكاسب مادية، ومصالح دنيوية تُحقِّقها؛ لأنها دعوات منطلقة من القيم الوضعية الأرضية، وغايتها تحقيق المغنم والمكاسب لصانعيها، وليست لها رسالة سامية تحقق سعادة البشرية، أو أهداف أخروية تجعلها محددة الوجهة والغاية والهدف، (الملقي، ١٩٩٥، ص ١١٩) بحيث لا تصرفها الأهواء والميولات عن هدفها ورسالتها، ولا تتحرف البوصلة عن تحقيق أهداف الرسالة إلى تحقيق أهداف شخصية.

الإسلام حينما ينطلق من ترسيخ سمعته الواضحة المُحققة لقيمه الواضحة، والمنضبطة بأوامره وتوجيهات، ولا يستطيع أحد أن يحرفه عن هذه الوجهة؛ لأنه مضمونة بالوحي المحفوظ، الذي لا يملك فيه الاتباع سوى الأنقياد والتطبيق، تلك القيم السامية التي تتجرد عن تحقيق المكاسب الشخصية والرغبات والميولات الذاتية (عليان، ٢٠١١، ص ٢١٣)، ويُعد هذا القيد من الضوابط والضمانات المؤكدة على سلامة المقصد والوجهة والغاية فيما يريده الإسلام من ترسيخ نقاء صورته، وصفاء سمعته.

ورسخ رسول الله -ﷺ- في حركة الفتح الإسلامي ما يؤكد هذه المفاهيم، من تجرد الدعوة عن المكاسب المادية، والرغبات الذاتية، أو حظ النفس من الانتقام أو الاسراف في العقاب، فكان بذلك يرسخ معادلة مفادها رسالية الجهاد، وجهاد الدعوة لا الانتقام أو المكاسب، فرسخ المسلمون في سلمهم وفي حربهم هذه المعاني، وترجموها واقعاً معيشياً.

ولعل فتح مكة يُدلل على صحة ما ذهبنا إليه، إذ دخلها رسول الله -ﷺ- فاتحاً مُنتصراً، بعد سلسلة من التكتيب والاضطهاد والتشريد والقتل والإخراج له ولأصحابه، ومع كل هذا عفا عنهم، وهم مستحقون للسيف والقتل، فتجلت أخلاق النبوة المترتبة على عين الله تعالى، وظهرت أخلاق رسول الله -ﷺ- النبي الخاتم بالعمو عنهم تقريراً للقيم الدعوية الجاذبة للخصوم؛ لأن الله بعث محمداً -ﷺ-

هادياً للبشرية ورحمة ونعمة مسداة، ولم يبعثه لإبادة البشرية وقتلها، بل بعثه لهدايتها وسعادتها وانقاذها من الظلمات إلى النور، فهو -  
 ﷺ- نبي الهداية لا الإبادة.

#### المطلب الخامس - البعد التربوي الأمني:

الإسلام دعوة ربانية تهدف إلى هداية البشرية وصلاحها، وتستهدف المجتمعات حولها، لقوله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (الشعراء: ٢١٤)، بل المجتمع الإنساني كله، لأنها دعوة ورسالة عالمية، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

فدعوة الإسلام هي دعوة سلم وأمن اجتماعي، والمجتمعات هي البيئات التي تنمو فيها بذور الدعوة، وهي محل بسط تعاليمها وقيمتها السمحة، من خلال تشريعاتها وقيمها الفاضلة، التي تستهوي أفئدة الخصوم، وتقربهم من الدعوة وحبها، فالاستقرار عامل مهم لتحرك الدعوة الإسلامية في المجتمعات، فيأوي إلى ظل الإسلام المتابع والمخالف، بل يأوي الخصوم إلى كنف الإسلام ودعوته بطمأنينة وأمان؛ لأنه يُحافظ على الأنفس والأموال والأعراض ويكفل حرية التدين والعبادة للخصوم والأعداء، فقد ترك رسول الله -ﷺ- ليهود المدينة حرية اعتقادهم، ولم يكرههم على الدخول في الإسلام. (الظهار، ٢٠١٢، ص ٣٣٧)

فالاستقرار الاجتماعي يؤدي إلى تحقيق البعد الأمني، وهو بالغ الأهمية على المستوى الداخلي لمجتمع الإسلام ودولته وكافة مواطنيها مسلمهم وغير مسلمهم، وعلى الصعيد الخارجي للعلاقات الدولية مع الدول الصديقة والدول المعادية، على النحو الآتي:

**أولاً - على المستوى الداخلي رعايته كمقصد أمني يُحقق سلامة الأمن الوطني:**

راعى الإسلام في بناء المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة هذا المقصد، وحافظ على مكونات المجتمع إذ ذاك، من خلال المعاهدات معهم، والكف عن المنافقين (آل سعود، وآخرون، ٢٠١٢، ص ٧٧)، ومن المعلوم أن المجتمع في المدينة المنورة كان يضم ثلاثة مكونات:

١ - المسلمون (من المهاجرين والأنصار).

٢ - اليهود (من بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع).

٣ - المنافقون من أهل المدينة الذين أظهروا الإسلام وأضرموا الكفر.

وتعامل رسول الله -ﷺ- مع هذه المكونات تعاملًا يأمن المواطنين في كنف دولة الإسلام على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وديانتهم، وهذا الأمان مُسيج بضوابط و ضمانات إلهية، وتشريعات دينية ملزمة للمسلم يُعاقب ويحاسب على تركها في الدنيا والآخرة (المبارك فوري، ١٤٣٠، ص ١٥٩)، ولا يسع المؤمن إلا تطبيقها في المكروه والمنشط والعسر واليسر، ولا يحل له مخالفتها لأجل عرض مادي، أو مصلحة دنيوية زائلة، فهو مُلزم بتنفيذ أوامر الله تعالى وإعطاء الآخرين حقوقهم والعدل معهم ولو كانوا كفاراً، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلنَّقْوَىٰ﴾ (المائدة: ٨)، فالكفار يُعاملون بالعدل ويأخذون الأمان ويعيشون مع المسلمين في ظل الإسلام لهم حقوق وعليهم واجبات (أبا الخيل، ٢٠٠٦، ص ٣٩٥).

والمُتأمل في السيرة النبوية التي هي الترجمة العملية للإسلام يلاحظ حرص النبي -ﷺ- على التعامل مع المُخالف وفق منهج الوحي بأبعاده الدعوية وأخلاقه الراشدة الجاذبة للخصوم والمؤثرة فيهم، ومراعاة الوفاء بالعهود والمواثيق معهم، استيعابهم وإزالة العداوة من نفوسهم أو عدم استعدادهم، والعمل على تخفيف العداوة قدر الإمكان، ولم يُقاتل رسول الله -ﷺ- معاهداً الا بعد نقضهم العهد، وخيانتهم، ومكرهم وتآمرهم على الإسلام والمسلمين (الطيبار، ١٤٢٤، ص ١٨٢).

فكان رسول الله -ﷺ- يُترجم التوجيهات القرآنية بما يخدم الهدف العام من البعثة والرسالة المتمثل بالحرص على هداية الخلق، وصلاح البشرية وفق منهج الله تعالى. وهذا من شأنه حفظ سلامة المجتمع الإسلامي وأمنه، ومن ثم سلامة الدولة الإسلامية وأمنها، إذ ترسيخ هذه الدعائم يُجلي الوجه الحقيقي والصورة الحسنة عن الإسلام ودعوته في التعامل مع الاعداء والخصوم بحيث يُلزمهم هذا التعامل احترام الإسلام، والنظرة اليه بطمأنينة وأمان.

## ثانياً - على المستوى الخارجي رعايته كمقصد أمني يُحقق ثقة خصومه به:

لقد رسخ الإسلام صورته لدى العدو قبل الصديق، قرر المصادقية معهم، والحفاظ على المبادئ والقيم، وهذه رسائل للخصوم والأعداء مضمونها الطمأنينة لدولة الإسلام ذات المبادئ الراسخة والتشريعات الراشدة في حفظ حقوق الخلق مسلمهم وكافرهم، لا تتبدل بتبدل المكاسب والمصالح، وهذا من شأنه أن يجذبهم لكنف الإسلام ودولته؛ لأن الإسلام يبحث عن مواطئ أقدام لدعوته في كل رقعة على الأرض، ويضع بصمة في كل قلب.

ففي حديث أبي سفيان - رضي الله عنه - مع هرقل، إذ فيه (قَالَ هِرَقْلُ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَنْهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ يَعْدِرُ قُلْتُ: لَا وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مَدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا قَالَ وَلَمْ تُمَكِّنِي كَلِمَةً أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ) الى قول هرقل: (وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَنْهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا فَقَدْ أَعْرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدْرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَعْدِرُ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الرَّسُلُ لَا تَعْدِرُ وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَقَابِ). (البخاري، ١٩٨٧، ج ١/٥).

فصاحب الدعوة السامية في مبادئه وغاياتها وهدفها، يصدق ولا يكذب، يفى بالعهود والوعد والمعاهدات ولا ينقض عهداً ولا ميثاقاً، بل يُحافظ عليها ولو كان ظاهرها في غير مصلحته؛ لأنه جعل الوفاء بالمواثيق والمعاهدات من لوازم الإيمان (المخلف، ١٩٩٢، ص ٢٦٤)، ومثال ذلك كما في صلح الحديبية، بل وكل مواثيق رسول الله - ﷺ.

## الخاتمة:

أولاً - النتائج: توصل الباحث من خلال البحث إلى نتائج عدة منها:

- ١- دل الكتاب والسنة على مشروعية هذا المقصد، وأرشدا على تحريه والعناية به.
- ٢- حرص رسول الله - ﷺ، ونبيه وحذره من خطورة تشويه صورة الإسلام، حفاظاً على الدعوة الإسلامية ومنطلقاتها من التشويش.
- ٣- توصل الباحث لتعريف مصطلح (حماية سمعة الإسلام ودعوته) بأنه: الحفاظ على نقاء صورة الإسلام ودعوته، ووقايته عما يشوهه من التصرفات والسلوكات، وصيانتها مما يشوش عليه من الأفعال والأقوال التي تُسبب الإساءة إليه وتُصرف الناس عنه.
- ٤- يتأكد من هذه الدراسة لدى المسلمين العناية بمثل هذا المقصد، لكون الإسلام دعوة إلهية، ورسالة هداية للبشرية، فقد رسخ القرآن قواعد السمعة الحسنة، وما تحمله من أبعاد تربوية.
- ٥- ترجم المسلمون عبر التاريخ هذه المعاني القرآنية وجعلوها واقعاً معيشياً، والشواهد التاريخية كثيرة مستفيضة في هذا الباب، وكلها تشهد على عظمة الإسلام، وروعة تشريعاته وتميزها، وثبتت نقاء صورته، وصفاء منهجه، مع الأعداء والخصوم في السلم وفي الحرب.
- ٦- رعايته من الناحية المقاصدية للدين، فمن مقاصد الدين وکلياته الخمس حفظ الدين، أي اتخاذ التدابير والإجراءات التي تضمن عدم الإساءة أو التفريط أو التعدي على الدين، سواء ما يتعلق بحفظ الدين على المستوى الفردي الشخصي، أو ما يتعلق بالدين على مستوى جماعة المسلمين ومجتمعهم ودولتهم، أو على الدين بتشويهه من قبل الغالين والمنحرفين.
- ٧- الحفاظ على سمعة الإسلام له أبعاد دعوية تربوية تؤثر على سير الدعوة وانتشارها وعلى قبول الدعوة، وتأليف القلوب على محبة الإسلام ودعوته، ومن ثم إيجاد رأي عام عالمي ينسجم مع عالمية الدعوة والرسالة، وحماية الدعوة من الدعاية المضادة من الأعداء والمترصبين.
- ٨- الحفاظ على سمعة الإسلام له أبعاد دعوية تربوية اعلامية، أن للإعلام والدعاية الصادقة دور كبير في تشكيل وجهات النظر عن الفكرة ومبادئها وطبيعتها، وإبراز صورتها النقية منزهة عن التشويه والتشويش، وأثر فعال إبراز مبادئها ومعرفتها، ومن ثم الاقتناع بها أو الاعراض عنها ومعاداتها.
- ٩- الحرص على سمعة الإسلام له أبعاد دعوية تربوية على الصعيد السياسي، فقد انتصرت الدعوة الإسلامية في تحقيق سمعتها السياسية المنبثقة من قيمها الأخلاقية، وبلغت تلك السمعة مبلغاً كبيراً، ونفوداً للدعوة في نقاء صورتها عند خصومها وأعدائها.

١٠- قوة الإسلام السياسية والسيادية نابعة من قيم الحق والعدل التي ينطلق منها، فالإسلام دين دعوة وهداية لا حرب إبادة، وتجرد الدعوة عن المكاسب المادية، والرغبات الذاتية.

١١- حينما ينطلق الإسلام من ترسيخ سمعته الواضحة المنضبطة بأوامر وتوجيهات، المضمونة بالوحي المحفوظ، الذي لا يملك فيه الاتباع سوى الأنقياد والتطبيق، تلك القيم السامية التي تتجرد عن تحقيق المكاسب الشخصية والرغبات والميولات الذاتية، ويُعد هذا القيد من الضوابط والضمانات المؤكدة على سلامة المقصد والوجهة والغاية فيما يريده الإسلام من ترسيخ نقاء صورته، وصفاء سمعته.

١٢- يُحقق الحفاظ على مقصد السمعة الحسنة أبعاداً تربوية على الصعيد الأمني؛ لأن الاستقرار الاجتماعي يؤدي إلى تحقيق البعد الأمني، وهو بالغ الأهمية على المستوى الداخلي لمجتمع الإسلام ودولته وكافة مواطنيها مسلمهم وغير مسلمهم، وعلى الصعيد الخارجي للعلاقات الدولية مع الدول الصديقة والدول المعادية.

### ثانياً - التوصيات:

عقب الانتهاء من هذه الدراسة والجولة في ثناياها، لبيان الأبعاد التربوية لحماية سمعة الإسلام ودعوته، يوصي الباحث بجملة من التوصيات، وهي:

١. اقتداء الدعاة بسلوكات رسول الله -ﷺ- وأخلاقه التي هي ترجمة للقرآن، وذلك له أثر بالغ وسبب من أسباب استقطاب المخالفين، يتوجب على حملة الإسلام ودعائه تحري هذه السلوكيات النبوية في التعامل مع الخصوم والأعداء؛ لأن التزام الدعاة خاصة والمسلمون عاصمة بقيم الإسلام ومبادئه سبب رئيسي لانتشاره، وهذا ما يستشعره الأعداء المخالفون، ويؤثر فيهم إيجاباً.
٢. العناية بهذا المقصد من المؤسسات الدعوية الرسمية وإعلام الدول الإسلامية، والحذر من التفريط فيه، لمآلاته السلبية على الدعوة الإسلامية. فلا يخفى على أحد الأثر الدعوي والتربوي للإعلام عن طبيعة الأفكار والدعوات والرسالات.
٣. تجنب الدول الإسلامية والدعاة من فعل أشياء شأنها الإساءة للإسلام، حتى لا يتخذها المخالفون حجة وذريعة لصد الناس عن الإسلام ودعوته، وإقامة السدود والعوائق أمام تمدده في مشارق الأرض ومغاربها.
٤. تبني اعلام الدول الإسلامية المحافظة على سمعة الدعوة الإسلامية، من خلال الأفعال والأقوال، بالإعلان عن طبيعة الإسلام، وترسيخ قيم الحق والعدل والتعامل بها مع الصديق والعدو، إعلاناً يستقر في القلوب والعقول، بأنه دين قيم ومبادئ تقوم على احترام إنسانية الإنسان، وتحقيقه لسعادة البشرية، بالحكمة والرحمة والرفق والسماحة.
٥. حرى بالمؤسسات الدعوية الرسمية في العالم الإسلامي إيلاء الحفاظ على السمعة الحسنة للإسلام ودعوته جانباً من لرعاية والاهتمام وتوظيفه إيجابياً لصالح الإسلام والدعوة إليه، وتوجيه العاملين في القطاعات الدعوية والدعاة لعرض الإسلام وقيمه بصورة نقية، وبيان وسطيته واعتداله، بدعاية إعلامية صادقة تُعبر عن الوجه الحقيقي لدين الله بعيداً عن الغلو أو التقصير.
٦. تبني الدعاة العاملين في المؤسسات الدعوية الرسمية في العالم الإسلامي لهذا المقصد في منابره، وتحركهم في الدعوة إلى الله؛ لأن تسويق الأفكار والدعوات لا يكون بالقسر والإجبار، وإنما بترجمة مبادئها وقيمتها واقعاً معيشياً حياً، يستهوي الناس ويحملهم على احترام الدعوة والداعية، والإعجاب بهما؛ لأن الانتصار في ميدان السلوك والتزام المبادئ والقيم، أعظم من الانتصار في ميدان المعركة، لما له من تداعيات طويلة الأمد في رسوخ الدعاية الحسنة الإعلامية عن الدين، وحقيقته الصادقة.
٧. تحري الدعاة لمطابقة أقوالهم لأفعالهم، ومتابعة النبي -ﷺ- القدوة في الدعوة إلى الله تعالى؛ فالداعية الصادق مرآة للدعوة، يجليها بأبهى حلة، وأجمل صورة؛ من خلال سلوكه وتصرفاته، والقدوة في ذلك رسول الله -ﷺ- الذي جسد المثال الراسخ على حقيقة القيم والمبادئ الأخلاقية في التعامل مع الخصوم في السلم والحرب، مما حمل الخصوم على احترامه والإعجاب به.

٨. على الدول الإسلامية ترسيخ هذا المقصد من خلال وسائل إعلامها، وتفرّد مساحة واسعة للدعاية الإعلامية عن الدعوة؛ لأهميتها في تسويق الدعوات والأفكار في ميدان الفكر والقلب، والنفوذ الى وجدان القلوب، وخلجات النفس، وذلك بالحديث عن قيم الفضيلة والعدل، والإحسان للآخر المخالف في الدين والعقيدة.

٩ - درء خطر الخوارج الجدد يكون بتبني الدول الإسلامية الدعوة للإسلام، وبيان قيمه وفضائله، وقواعده في التعامل مع المخالف في السلم والحرب، فالإسلام دعوة هداية تحرص على تأليف القلوب لتتقاد إلى نورها طواعية ومحبة، ويحرص على كسب الخصوم واستمالتهم، أو على أقل تقدير البعد عن استثارة الأعداء وتقليل العداوة معهم، ووضع نقاط للتلاقي والتفاهم معهم والبعد عن الصدام والصراع والافتتال قدر الإمكان.

١٠ - نقض منهج الخوارج الجدد في التعامل مع الخصوم والمخالفين يكون بتبني الدول الإسلامية قيم الإسلام في التعامل مع الكفار وأهل الكتاب، من المصادقية معهم، والحفاظ على المبادئ والقيم، ومراعاة الوفاء بالعهود والمواثيق معهم، وهذه رسائل للخصوم والأعداء مضمونها الطمأنينة في التعامل مع دولة الإسلام ذات المبادئ الراسخة والتشريعات الراشدة في حفظ حقوق الخلق مسلمهم وكافرهم، لا تتبدل بتبدل المكاسب والمصالح، وهي كلها قيم تجلب مصالح خيرة للإسلام ودعوته.

#### المراجع:

- الأسمر، أحمد رجب، **فلسفة التربية في الإسلام انتماء وارتقاء**، الأردن، عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٧م.
- الأصفهاني، الراغب، **مفردات ألفاظ القرآن الكريم**، دمشق / سوريا، دار العلم، (د.ط)، ١٤١٢هـ.
- البخاري، محمد بن اسماعيل (ت: ٢٥٦هـ)، **الجامع الصحيح**، القاهرة/ جمهورية مصر العربية، دار الشعب، ط١، ١٤٠٧/١٩٨٧م.
- البغوي، الحسين بن مسعود (حقيقه محمد النمر وآخرون)، **معالم التنزيل**، الرياض/ المملكة العربية السعودية، دار طيبة، ط٤، ١٩٩٧/١٤١٧.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، **مجموع الفتاوى الكبرى**، حقيقه (محمد عبدالقادر عطا - مصطفى عبدالقادر عطا)، بيروت /لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ /١٩٨٧م.
- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت٨٥٢)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، بيروت /لبنان، دار المعرفة، (د.ط) ١٣٧٩هـ.
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني(ت٨٥٢)، **تغليق التعليق على صحيح البخاري**، تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، عمان/ الأردن، دار عمار، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٥هـ.
- **أبا الخيل**، سليمان بن عبد الله، **التقرير في حكم وخطورة التكفير والتفجير**، الرياض/ المملكة العربية السعودية(د.د)، ط١، ١٤٢٧ - ٢٠٠٦م.
- **السحيمي**، عبد السلام بن سالم، **الجهاد في الإسلام وضوابطه وأنواعه وأهدافه** المدينة المنورة/ المملكة العربية السعودية، الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (د.ط)، ١٤٣٠هـ.
- **السعدي**، عبد الرحمن، (ت: ١٣٧٦هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، بيروت/لبنان، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٦هـ/١٤١٧.
- **آل سعود**، سعود بن سلمان آل سعود، (وآخرون)، **النظام السياسي في الإسلام**، الرياض/ المملكة العربية السعودية، مدار الوطن، ط١، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
- **السيوطي**، جلال الدين، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، الجيزة/ مصر، دار هجر، ط٢، ٢٠٠٣.
- **آل الشيخ**، عبد الرحمن حسن، **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**، الرياض/ المملكة العربية السعودية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء، ط٦، ١٤٢٩هـ.



- الشوكاني، الإمام محمد بن علي، (ت: ١٢٥٠) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط٣، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- الطيَّار، علي عبد الرحمن، آداب الحرب في الفقه الإسلامي والقانون الدولي، الرياض/ المملكة العربية السعودية، (د.د)، ط١، ١٤٢٤هـ.
- الظهار، راوية، حقوق الإنسان في الإسلام، المدينة المنورة/ المملكة العربية السعودية، دار الزمان، ط٥، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، بيروت/ لبنان، مؤسسة التاريخ العربي، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- عليان، شوكت محمد، الثقافة الإسلامية وتحديات العصر، الدمام/ المملكة العربية السعودية، مكتبة المنتبي، ط٢، ١٤٣٢/٢٠١١م.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد(ت: ٦٧١هـ)، الجامع لإحكام القرآن، حققه(سمير البخاري)، الرياض/ المملكة العربية السعودية، دار عالم الكتب، (د.ط)، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم، الرياض/ المملكة العربية السعودية، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠/١٩٩٩م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(ت: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، حققه ودقق اصوله وعلق حواشيه: علي شيري، بيروت/لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- المباركفوري، صفي الرحمن، روضة الأنوار في سيرة النبي المختار، المملكة العربية السعودية/ الرياض، وزارة الشؤون الإسلامية، ط٦، ١٤٣٠هـ.
- المخلف، محمد مخلف صالح، الحرب النفسية في صدر الإسلام(العهد المدني)، الرياض/ المملكة العربية السعودية، دار عالم الكتب، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- مسلم، أبو الحسين مسلم ابن الحجاج القشيري، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، بيروت/ لبنان، دار الجيل، ط٢، (د.ت).
- ملقي، هيام، ثقافتنا في مواجهة الأنفتاح الحضاري، الرياض/ المملكة العربية السعودية، دار الشؤاف، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، لسان العرب، بيروت/لبنان، دار صادر، ط١، ١٣٨٨هـ.
- النووي، أبو زكرياء يحيى، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيروت/لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ.